

الوافي في الوفيات

أحبا بـنا إن وـنـتْ عـنـي رسائلكم ... فـلـسـتْ أسألُ إلّا الفصل والحسبا .
وحياتكم ما لنفسي عنكم بدل ... كلا ولا اتـخـذتْ في غيركم أرـبا .
أُعـيـذُ ودـكم من أن يغيـره ... نأى ولا جـرـدـتْ من دون ذاك طـبـى .
لعلـ دهرًا قضى بالبعد يجمعنا ... وقلـما جاد دهرٌ بالـذي سلبا .
أرضى بحكم زمانى وهو يظلمنى ... فيكم وأجنى ببعدي عنكم التعبا .
ولن يُطـفـرَ رـنـي إلّا بـودـكم ... يا حيرتى فيكم إن ردـ ما وهبا .
نسيتمونى ولم أعتد سوى كـرم ... منكم يُـبـوئـنـي من فضلكم رـتـبا .
حاشاكم أن تـرـووا هجري بلا سبب ... أو تجعلوا البين فيما بيننا حـجـبا .
عاقبتمونى ولا ذنبٌ أتيت به ... فـقـلـ عن الصخر إذ يقسو ولا عجا .
عودوا إلى جبر كسرى لا فـجـعـتْ بكم ... فـقـد لقيتْ ببعدي عنكم نصبا .
وكتب هو إليّ وأنا بدمشق وهو بصفد وقد طنـ أنـي لمـّا كنت بالقاهرة تـمـالـتْ عليه
وعلم ا كافٍ :

إن كان ظنـك أنـي لك ظالم ... فارحم لأن تُسـمـى بأـنـك راحم .
حـسـبُ المسيء من القصاص بأـنـه ... جرحٌ بجرحٍ والسعيد مسالم .
كم قد حرصتْ على التـنـصـلِ عـنـدما ... وقع العتابُ فما أقالـ الحاكم .
ا يعلم أنـي لك عاذر ... و ا منـي بالبراءة عالم .
ها قد جرى لي ما جرى لك قبلها ... ووقعتْ في صفدٍ وأنفى راغم .
إن صحـ لي فيها عليك جناية ... فجزاؤها هذا العقابُ اللازم .
فاقنع به واذكر قديم مودـتي ... فالعهدُ فيما بيننا متقادم .
أولـم يكن ذنبٌ وحالى ما ترى ... فامدـدْ إليـ يداً وجاهـك قائم .
فلقد تأتـى ما تريد فوالـني ... منك الجميلـ فأـنـه لك دائم .
جارـ الزمانُ على وليـك واعتدى ... وإليك للزمن الألدـ يخاصم .
من كان ليس بنادمٍ مُستدرِكٍ ... فأنا عليك إلى مماتى نادم .
كانتْ هـناةٌ وانقضتْ ومـنـ الذى ... منـّا وليس له تـعـدـدٌ جرائم .
إنـ الذى قـسـمَ الحظوظَ كما يشا ... للرزقـ ما بين البرايا قاسم .
قـلـ وكثـرٌ وليس تبقى حالة ... والدهر بين الناس بانٍ هادم .
يا من له أخلصتْ كنـ لي مخلصاً ... فعلى مُجـارينا كلانا قادم .

أعلنتُ بالشكوى لضرِّ مَسَّني ... لكنَّ ودِّي في الحقيقة سالمٌ .
ولك السيادة حليةٌ ومكارمٌ ... الأخلاقِ منها في يدك خواتمٌ .
فاقبلُ أخوَّتيَ الجديدةَ إنَّني ... فيها لمجدك أو لودِّك خادمٌ .
وإلى الرِّضى عُدُّ بي وللحُسنى أَعِدُّ ... حتَّى تقومَ على الصفاءِ علائمٌ .
والبسُّ رياستك السنية حُلَّة ... أبدأ لها من نسج سعدك راقمٌ .
واجعلُ لها شكرًا إقالةَ عثرةٍ ... من صاحبٍ قد صدَّ عنه العالمُ .
أنتَ الخليلُ بل الخليُّ من الهَوَى ... وأخوَّتي قد جرَّها لك آدمٌ .
فأعِنْ أخاك بحسن سعيك مرَّةً ... إنَّ المغارمَ في الإخاء مغانمٌ .

ولم يزل في كتابة الإنشاء بدمشق إلى أن طلبه القاضي علاء الدين بن فضل إلى باب
السلطان بمرسوم السلطان الملك المظفَّر فتوجَّه هو وولده شهاب الدين أحمد إلى الديار
المصرية في البريد . ورُتِّبَ زين الدين المذكور موقِّعاً في الدَّسَّات الشريفة بالأبواب
السلطانية وكان توجَّه من دمشق في يوم عيد الأضحى سنة سبع وأربعين وسبع مائة وأقام هناك
إلى أن توفي C وسامحه في ثامن عشرين صفر سنة تسع وأربعين وسبع مائة بعد مرض طويل قاسى
منه شدَّة .

ووقفتُ له على كتاب كان قد كتبه من صفد بخطِّه إلى القاضي علاء الدين ابن فضل وهو

: